قَصِيْدَةُ
الشَّخْصِيَّةِ فِي شِعْرِ أَحْمَد الخَيَّال

علي غريب دغيم الركابي أ.م.د. سامر عبد الكاظم الجوذري

جامعة بابل – كلية التربية الأساسية ـــ جامعة بابل

Lalysawy40@gmail.coom

الملخص

أضاء هذا البحث مفهوم قصيدة الشـخصية، ومصطلح هذا المفهوم العلائقـي القائم عـلى التداخل بين الشـعر والسرد المتصـل بالتداخلات الأجناسـية، فالشـخصية أحدث أهم تقنيات الحداثة في الشـعر لما لها من حضور نفسي ووجداني وتتحقق درامية الشخصية بما تتناوله من موضوع أو ما تؤديه من دور؛ لأنَّ التفاعل والمشـاركة هما جوهر الدراما فضلًا عن ذلك مثلت تحولاً ملموسـًا في الشـعر العراقي بفعل التلاقح الفكري بين العربي والغربي، بذلك يمكن عد الشخصية لوحة تاريخية تتشكَّلُ أبعادها داخل بنية النص، وكلما تقـدَّم القارئ في قراءة النصَّ بما يُحَدِّدُ من صفات داخلية وخارجيةٍ والشـاعر أحمد جاسـم الخيّال من الشـعراء المعاصرين الذي وظَّف هذا الشـكل الدرامي في كتابة قصائده الشـعرية بشخصيات متنوعه منها دينية وأُخرى اجتماعية مرتبطة بأحداث المجتمع.

الكلمات المفتاحية:

قصيدة الشـخصية، الشخصية الدينية، الشـخصية الاجتماعية، أحمد الخيَّال.

Personality poem in Ahmed Al-Khayyal's poetry

Ali Gharib daghim al-rikabi, Asst. Prof. Dr. samir abdulkadhim al-jawdari

Abstract

This research illumines the concept of the character poem and the term this relational concept based on the intersection of poetry and narration related to the intersection of gender. Personality is the most important technique of youth in poetry because of its psychological and emotional presenceHis personal drama is realized by the subject she addresses or the role she plays, because the interaction and participation are the essence of the drama. Moreover, they represent a tangible shift in Iraqi poetry due to cross-fertilization Between the Arab and the Western, therefore, the character can be counted as a historical painting whose dimensions form within the structure of the text as the reader progresses in reading the text, identifying both internal and external characteristics, and the poet Ahmed Jassim. Al-Khayyal's.

A contemporary poet who employs this form of drama in his poems, with diverse religious and social figures associated with the events of society.

Keywords:

Personality poem, religious personality, social personality, Ahmed Al-Khayyal.

مفهوم قصيدة الشخصية :

تُمَثِّلُ الشخصية محورًا أساسيًّا في العملية الدرامية، فهي احدى أهم التقنيات التي اعتمدتها الحداثة في الشعرية العربية، وترتكز على تفعيل شخصية لها حضور نفسي ووجداني وجغرافي بالوصف والتصوير والسرد، وتستلهم معطياتها من آليات الفنون الأخرى من أجل دعم شعرية القصيدة عبر مجموعة من المشاهد واللقطات داخل حاضنة فضائية متماسكة بزمكانية يؤلِّفها الراوي الشعري [١].

ومصطلح الشخصية «مفهوم علائقي قائم على أساس التداخل بين الشعر والسرد، فهو يرتكز على مكون نصي سردي، قصيدة تتمثل بالحضور الشعري والسردي معاً»[٢].

ويَتَحَدَّدُ هذا المفهوم بأبعاد مختلفة، فهي في النظريات السيكولوجية تتخذ جوهراً سيكولوجيًا فردًا إنسانيًا، وفي المنظور الاجتماعي تعبر عن واقع طبقي يعكس وعيًا أيدلوجيًا فالبنيوية تتعامل مع الشخصية كعلامة لها مدلول من وحدة الأفعال التي تنجزها في سياق السرد فهو يجرد الشخصية من أبعادها ويتعامل معها بوصفها فاعلاً ينجز دورًا أو وظيفة [٣].

والشخصية الدرامية «هي التي تقوم بأداء الحدث الدرامي حيث يوجد ارتباط وعلاقة ما بين الحدث الفعل وما بين الفاعل الشخصية، فالشخصية الدرامية هي صانعة الحدث الذي يخلق الدراما»[٤].

(١) ينظر: التشكيل الشعري الصنعة والرؤيا، محمد صابر عبيد، ص٣٩.

(٢) قصيدة الشخصية في ديوان (زهرة البرتقال)، سعدي علي المرشدي، ص١٩١٢، مجلة جامعة بابل، كلية الآداب، مجلد ٢٤، العدد٤، ٢٠١٦.

(٣) ينظر: تحليل النص السردي، ص٣٩.

(٤) الدراما بين النظرية والتطبيق، ص٣٣٦. وأيضاً بلاغة توظيف الشخصية في الشعر العربي ص١٢٤.

وتَتَحَقَّقُ دراميـة الشـخصية في القصيدة حين تكون الشـخصية تراثية تتناول موضوعًا يمسُّ قضية عامة أيّ أنَّها تُمثلُ قضيةَ رأي عام أو تكون الشـخصية مؤدية لدور ما؛ لأنَّ التفاعل والمشاركة في حدثٍ ما هو جوهر الدراما، فليست الشخصية مادة الدراما بل بكيانها الدرامي المرتبط ارتباطًا عضويًا بالحدث[١].

وقـد ذكرت في الدراسـات الغربية لـدى العديد من الباحثـين منهم **لوكاتش** الذي يرى « أنَّ أهمية الشـخصية تأتي من تَمَكُّنِ مبدعها من الكشـف عن الصلات العديدة بين ملامحها الفردية وبين المسائل الموضوعية العامة، ومن قدرته على جعلها تعيش أشـد قضايا العصر تجريدًا وكأنَّها قضاياها الفردية المصيرية « [٢]، أمَّا **رولان بارت** فقد ذكر الشـخصية بقوله: «إنَّ هويتهـا موزَّعة في بنية النص عبر الأوصاف والخصائص التي تستند إلى اسم علم يتكرر ظهوره في الحكي»[٣]، بذلك الشخصية تتحدد بالميزات المرافقة للاسم.

وفي الدراسـات العربيـة مـن الباحثـين مـن يـرى أنَّ الشـخصية هـي المظهـر الخارجي، ومجمل السـمات والملامح التي تشـكل طبيعة شـخص أو كائن حي[٤]. ويعرفها أحمد عبد الخالق بقوله: «هي التنظيم الدينامي داخل الفرد لتلك الأجهزة النفسـية التي تحـدد طابعه الخاص في توافقه للبيئة»[٥]. وهـذا يعزى إلى قوة ارتباط الفرد الداخلية.

ويـأتي محمـود البسـتاني ليصف الشـخصية بأنَّها العنـصر الأهم لمـا تمتلكه من

(١) ينظر: النزعة الدرامية في الشعر العربي المعاصر، ص٧٨ـص٧٩.
(٢) جـورج لوكاتـش دراسـات في الواقعيـة، ص٢٨، وايضـا: (شـخصية البطـل بـين نجيـب محفوظ ـ وديستوفسكي) دراسة مقارنة، ندى السيد احمد علام، ص٣٨، بحث كلية الآداب،٢٠١٨،
(٣) بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، ص٥١، ط١، ١٩٩١.
(٤) معجم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، ص٢١٠.
(٥) الأبعاد الأساسية للشخصية احمد عبد الخالق، ص٣٩، ١٩٩٢.

واقعية وإنسانية وحركة في الحياة بما تحمله من سمات إنسانية، فرسم الشخصية يكون منسجماً ومرتبطاً بالواقع لتكون أكثر تأثيرًا في المتلقي بما تمتلكه من لغة[١].

«فقصيدة الشخصية ما ارتسمت ملامحها في البنية الشعرية القائمة في أكثر تجلياتها على شخصية أحادية الحضور بهوية تعريفية واضحة مثلت في النص الشعري الفاعل البنيوي الذي يعلو على كل بنية أُخرى تتشكل داخل النص فتصبح القصيدة هي الشخصية والشخصية هي القصيدة، ولكن من الممكن أن يتأسس حضور الشخصية ضمن حدود مضمون قصيدة الشخصية من خلال حضور شخصيات مجتمعة تحت كيان شخصية واحدة داخل النص يقع على عاتقها تكوين الشخصية»[٢].

وتجدر الإشارة إلى أول مَنْ ذكر مصطلح قصيدة الشخصية بعينه أو أشار إليه هو الناقد علي عباس علوان بقوله: «قصيدة تجمع بين الموضوعية والتوتر في آن واحد وتجمع بين حدث متطور بأسلوب حكائي في سرد شعري حاذق مؤكداً تأكيداً بارزاً على الشخصية في القصيدة»[٣].

وتمثل قصيدة الشخصية وسيلة لأثراء النص الشعري، فهي مثلت تحولاً ملموساً في الشعر العراقي بفعل التلاقح الفكري بين ثقافة العربي والغربي على الرغم من أنَّها ليست بالحدث الطارئ على الشعر العربي الحديث إلاّ أنَّها أخذت منحى مغاير ضمن حركية الدراما بعيداً عن الوصف الجامد تختلف مراجعها باختلاف رؤيا الشعراء، وظَّف الشاعر هذا المفهوم بطرق منها مباشرة وأخرى غير

(١) ينظر: أسلمة الأدب والفن، سامر عبد الكاظم الجوذري، ص٨٩.

(٢) قصيدة الشخصية السرابية في الشعر الجاهلي، أسامة جبار شدهان، ص٤٠، جامعة واسط، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية العدد ٤١، الجزء الرابع، ٢٠٢٠.

(٣) رثاء الشخصية في القصيدة العراقية الحديثة، علي عز الدين الخطيب، ص٣، وأيضاً قصيدة الشخصية في شعر عبد الإله الياسري ص٥٩٩.

مباشرة، وأكثر ما اعتمد عليه الشعراء هو التقديم غير المباشر الذي يتيح للمتلقي فضاء وإمكانية في تفسير النتائج[١].

بذلك الشخصية ما هي إلا لوحةٌ فارغة تتشكل حدود اتجاهاتها داخل بنية النص الدرامي كلما تَقَدَّم القارئ في قراءة النص بما يحدده النص من صفات خارجية وداخلية تخص الشخصية.

والشاعر أحمد الخيّال أحد الشعراء المعاصرين الذي وظّف هذا الشكل الدرامي في كتابة قصائده الشعرية بشخصيات متنوعة منها الدينية وأخرى اجتماعية المرتبطة بأحداث المجتمع.

الشخصيات الدينية:

مثل التراث الديني في مختلف العصور إلهاماً شعريًّا يستمد منه الشعراء موضوعاتهم وصورهم الأدبية، فالأدب العالمي زاخرٌ بالأعمال الأدبية التي محورها شخصية دينية، فإذا كان الكتاب المقدس المصدر الأساسي للأدباء الغرب، فالقرآن الكريم لا يقل أهمية عنه كمرجع للدراسات الأدبية[٢].

وشخصية الرسول ﷺ أكثر الشخصيات شيوعاً في الإنتاج الأدبي العربي؛ كونها تمثل رمزًا لهوية الإنسان العربي، وأخذ الشاعر أحمد الخيّال يصوّر هذه الشخصية العظيمة في قصيدته (**هذا مصابك**) التي يقول فيها:

أشجى رحيلك نبع الماءِ والشّجرا

أشجى السماء واشجى الغيم والمطرا

(١) ينظر: توظيف الشخصية في القصيدة الجديدة، بيداء عبد الصاحب الطائي، ص٣٨٩ـص٣٩٠، جامعة بغداد مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد ٥٠، ٢٠١٦.

(٢) ينظر: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، ص٧٥، ١٩٩٧، دار الفكر العربي.

أشجى القلوب التي مازال يحرقها

وطــن اللقاء وما في غيبه اســتترا

أشجى ديانات هذه الأرض أجمعها

العارفــون بــه حقــاً ومــن كفرا

أشجى رحيلك هذا الكون فارتعدت

فيه الموازين حتى استشعرت خطرا

هــذا مصابــك والاكــوان تندبه

والجرح دامٍ علــى اوجاعه انفطرا

ياخاتم النور يا وحياً به انكشفتْ

كل الدياجيــر إذ نــورٌ بهــا بُذرا

وكنتَ شمس هدىً مازال مشرقُها

يفيــض نور على الأيــام ما نكرا

يا ســيّدي يــا رســول الله يحملنا

وجه الســؤال إليك الآن مُنكسرا

نأتــي إليــك كأنّــا كلّنــا وجعٌ

ونشتكي عندك الأصفاد والضّررا

فبعدك الأرض قد هانتْ مشارفُها

طغى بها الحقد حتّى استوقدتْ شَررا

متى نرى ثغر هذه الأرض مبتسماً؟

ويرفــعُ الرايــة المهــديُ والظفرا؟

ياســيّدي يــا رســول الله إنّ لنــا

مهما تطاول هذا الليل كفَّ قِرى

نسـيرُ فيـه ولا نرضـى بمنقصةٍ
لأنّ وجهـك نور القلبِ ماانحسـرا
فكلما زاد فينا الشـوق نُسـعِرُهُ
حتى إذا ارتاضَ وصلاً زرتهُ فجرى[1]

يخاطب الشـاعر أحمد الخيّال شـخصية الرسـول الاكرم ﷺ التـي مثلت محوراً أساسـيًّا تدور عليه بنية النص الشـعري، فجيء بعتبة النص العنوان (**هذا مصابك**) جملة أسمية اثباتية تشير إلى جملة الرزايا والحوادث وما يتصل بهما في الأمة الإسلامية بعد رحيله، و تكونت بفعل النفس الضعيفة، لا قضاء بقدر الله، فأولُّ ما يطالعنا في متـنِ النص هو تكرار الفعل (**أشـجى**) بما يحمله من دلالة لسـانية زيادة على اقترانه بصور شـعرية كمقدمة يندب فيها الشـاعر رحيل الرسـول ﷺ مُتخـذًا من التكرار تقنية كأنَّما الشـاعر أحمد الخيّال لم يجد سـوى صوت الحزن متنفـس لرؤيته، فهو لم يرَ مثيل لهذا الحزن فقد بلغ السماء والأرض، وأيضًا أتخذ من تكراره للفعل المعوض عن ذكر صفات المرثي التي لا تعد ولا تحصى وشـخصية محمد ﷺ أوردها الشـاعر مرة عبر الحوار المنطلق من ذات الشـاعر بتمجيدها بصور شـعرية ترفقها ألفاظ الطبيعة كأدوات للشاعر، ومرة أخرى بأسلوب النداء الذي مثل خطاب مباشر مع شخصية الرسـول ﷺ يبـث فيه شـكواه والتي تمثـل ذلك بـدءاً في البيت السـادس (يا خاتم النور....)، وفي الوقت نفسـه يقدم لنا الشـاعر نظرة أخرى حال المجتمعات العربية وتجردها من القيّم والتمسك والاقتداء بالغريب بشتى المجالات وعدم الالتفات إلى من هم قائمين على سـير أمور الدين (المراجع العظام) شـكوى بثها الشاعر، قاصداً مـن ورائها تجريـد الواقع مـن كل شيء ظاهـرًا صورته الحقيقية،والشـاعر بوصفه»

(١) مجموعة شعرية (أضرحة الماء)، احمد الخيّال، ص١٦٨.

فنـان يومئ إلى تغيير الواقـع بعيدا عن العصبية»[١] فيعهد إلى شـخصيات لها تقبلها في المجتمع العراقي كشـخصية الرسـول ﷺ يصور له الواقـع في حالة من التأبين"، فالتأبـين والثناء على الشـخص حياً أو ميتاً، ثم أقتـصر على الموتى فقط، يختص بذكر المناقب والفضائل والتشـهير بمحامده»[٢]، وفي البيت التاسـع والعاشر عبّرَ الشاعر بصوت الجماعة بالضمير الإشاري (نا) بقوله (نأتي إليك كأنّا كلّنا...) بلسانه بشعور الفقدان والانقطاع ما بين الخالق والمخلوق فهو خاتم الرسل، بصورة شعرية أشرك فيها ما بين السماء والأرض فهو يشكي لنبيه حال أمته.

ويُلْحَظُ أشراك الشـاعر أحمد الخيّال إلى جانب شـخصية الرسول ﷺ شخصية أخرى هي شخصية الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف المصلح المنتظر من سلالة علي وفاطمة وريثة النبي ﷺ مكمل الرسـالة المحمدية باسـط الدين في بقاع الأرض والمخلص، وأيراد شـخصية الرسول ﷺ، وتكرار النداء باسـمه (يا سيدي يا رسول الله) مقصديه من الشاعر لتقبل رؤياه من قبل المتلقي بتقبل شخصية الرسول ﷺ، وتنوعت الجمل ما بين الفعلية والاسمية في بنية النص، بكثرة ما جاء به الشاعر أحمد الخيّال من جمل فعلية ببلاغته بما تومئ إليه من زمنية على تجدد الحزن واستمراريته ومن حيث أسلوبية الخبر والانشـاء، قامت على تعدد الجمل الخبرية وهذا مرتبط بلحظة شـكوى الشاعر فهو المخبر عن حال أُمته وما قامت عليه الدنيا من فراغ بعد فقدان الرسول ﷺ كرسالة موعظة للمتلقي بمن فقده والمنزلة العظيمة المصاحبة لشخصية الرسول ﷺ، وتكرار الأصوات المهموسة لاسيما صوت (الشـين) والأصوات المجهورة والاندماج بينها محاولة من الشـاعر بلفت انتباه المتلقي من جهة، ومن جهة أُخرى بالجهر التعبير عن مدى حجم الألم الداخلي في نفسية الشاعر.

(١) الإبداع في الفن والعلم، حسين احمد عيسى، ص٦٦، ١٩٧٨.

(٢) الرثاء، شوقي ضيف، ص٥٤، ط٤، دار المعارف.

وفي قصيدة أخرى يوظف الشاعر شخصية فاطمة الزهراء عليها السلام بعنوان (أم أبيها) التي يقول فيها:

يمضي بي المعنى إلى معناكِ
ويتيه قلبي في الرؤى لولاكِ
نبضاتُ دمعي إذ ترقُّ ترينها
بين الجفون تحاكم المتباكي
يا بضعةَ الإرثِ العظيمِ كأنّني
ما بين أرضك واقفٌ وسماكِ
تبتلُ من لغةِ المسافةِ أرجلي
ودمي يشمُّ على الزمان ثراكِ
يا لوحة القدسِ اخضرار دمائنا
لا لستُ أسقيها بغير رضاكِ
أنتِ انتماءٌ فيه سر وجودنا
أنتِ الهويّةُ لم نكن بسواكِ
يا أم احمد والحكاية باعها
لصٌ توهّم أن يضيع شذاكِ
لم يدرِ إنّ الله أحكم سرّكِ
المكنون والفوز اتباعُ هداكِ [1].

أشار العنوان الى تعبير مجازي ذي مقصدية يحمل أوجه عدة، فالأول يرى أنَّ فاطمة الزهراء عليها السلام ثمرة شجرة النبوة العصمة التي استقرت بين السماء والأرض، فهي أصل النبي، الولد الذي كان يريده الرسول صلى الله عليه وآله ليكمل السلالة المحمدية، فلفظة أم هي المقصود والمراد هي أصل وجود النبي ومجمع الأنوار بمصداق قول

(١) مجموعة شعرية (صلاة الماء والقمح)، احمد الخيّال، ص٥٣.

الرسـول صلى الله عليه وآله: «فاطمة روحي ومهجة قلبي، وفاطمة مني وأنا من فاطمة»، والوجه الآخر ما شاع على الألسن عند العرب من متداول التعبير عن المحبة والعطف لتعبير الرسول صلى الله عليه وآله عن حبه لابنته وامتنانه لرعايتهِ[١].

اشـتملت بنيـة النص على جمـل دلالية (بضعـة الإرث العظيـم، لوحة القدس، سر وجودنـا، أم أحمـد، الفوز أتباع هـداكِ) توحي الى التبجيـل والتعظيم في وصف الشـخصية، فالشـاعر أحمد الخيّال بهذه التتابعية في الصور الشـعرية يعمد إلى ترجمة شعوره الداخلي بوصف الشخصية بما يختلج في نفسيته من ألم وحسرة على ما صاحب الشخصية فاطمة الزهراء عليها السلام، فالشاعر يستمد عنصر الوفاء للمرثي بما يحمله من تأوه وحسرة عليه[٢]، فهو أمام أمر محكوم فما باستطاعته هو الرثاء على المفقود، وبما أورده من خصال حول السـيدة فاطمة الزهـراء عليها السلام والمحامد الجليلة بما صوَّره من تمجيد بالخصال الحميدة أكثر من استدرار العاطفة، فبهذه اللغة خلق نوع من التأبين الذي يمثل أحد اتجاهات الرثاء فالمقصود به «أدنى إلى الثناء به إلى الحزن الخالص»[٣]، فتظهـر حالة الحزن بشـكل جليّ لدى الشـاعر حـين وقف على تكـراره لنداء فاطمة الزهـراء (أم أبيهـا، يا أم أحمـد، يا بضعةَ الإرثِ العظيم، يا لوحة القدس) واسـتطاع الشـاعر بمخزونه التراثي وبما يمتلكه من ملكة معرفيةَ دينية أن يربط نصه بالحديث النبوي الشريف بقول رسـول الله صلى الله عليه وآله:«يا عـلي أَمَا علمت أنَّ فاطمة بضعة منّي وأنا منها فمن آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذاها بعد موتي كان كمن آذاها في حياتي ومن آذاها في حياتي كان كمن آذاها بعد موتي»[٤].

(١) ينظر: الخصائص الفاطمية، الشيخ محمد باقر الكجوري، تر: سيد علي جمال أشرف، ص٣٠ـ ص٣١، ج١، ط١.

(٢) ينظر: الرثاء في الشعر العربي، سراج الدين محمد، ص١١، بيروت ـ لبنان.

(٣) الرثاء، شوقي ضيف، ص٦، ط٤، دار المعارف.

(٤) بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، ص٢٠٢، ج٤٣، مؤسسة الوفاء، بيروت

(يا لوحة القدسِ اخضرار دمائنا) بهذا التشبيه عُـدَّت هوية تعريفية للموالين لآل بيت النبي» فالإحساس بالهوية مركب من المشاعر المادية والانتماء عليهما السلام والتكامل والإحساس بالاستمرارية الزمنية والتنوع والثقة بالنفس والإحساس بالوجود»[1]، فبنية النص ذات دلالة عقدية دافع عنها الشاعر أحمد الخيّال مرة بذكر أحداث ومرة بذكر مناقب الممدوح المرثي للإفصاح عنه.

وفي قصيدة (**يا زينب الصبر**) التي يقول فيها:

وجه السماء جفا من هول دمعتها
واسّاقط النجم من حزنٍ لغرّتها
كم كان في قلبها حزن تؤطره
وجه الغياب وماأسرى بأخوتها
إذ كلهم مجمع النور الذي انبثقت
منه السماوات وازدانت بحلتها
يا زينب الصبر، هل دمعٌ نؤجله؟
أم هل نداءٌ مضى في شام هدأتها
مازال يا زينب العباس ممتطياً
ذاك الجواد ويحمي وجه عزتها
أنت المسار وسور العز ما انهدمت
أركان خطبتها أو بيت هيبتها
هذا المجندل عند الصوت جاء فما
يدك أرض الوغى الاّ لنجدتها
فالشامُ لولاك لم نعرفْ مفاوزها
ولم نشمَّ هوىً من غيد تربتها

(١) الهوية، أليكس ميكشللي، ص١٢٩.

اقمــت فيه فصــار الشــام قبلتنا

فحجّت الناس تسعى قرب غربتها

مازال فينا صدى حــزنٍ يكربلنا

يهيــج فينــا كأمــواجٍ لنكبتهــا

يا زينب الصبر يا خير الورى نسبا

من فاطم الطهر جاءت خير نبتتها

فرعٌ من الدوحــة العلياءِ منه رقت

كل الكمالات طراً صوب رفعتها[1].

يَلْحظُ الباحث أنَّ شـخصية السيدة زينب بنت علي عليهما السلام هي المحور الأساسي في بنية النص، فالشاعر لا يشير صراحة إلى كمية المصائب التي تحملتها هذه السيدة الطاهرة والتي عُدَّتْ في شـعره احدى الركائز الأساسية التي شهدتها واقعة الطف الخالدة، وما شهدته من أحداث دامية، فهي البطلة التي حافظت على دعائم النهضة الحسـينية وأوصلت رسـالتها على مرِّ الأزمان جيل بعد جيل، فأقبال الشـاعر أحمد الخيّـال على تصوير الجانب الثوري والنضـالي كمظهر من مظاهر الصبر والصمود حتى بعد الواقعة بصور شعرية متواترة تجمع بين الندب والشجاعة، وكيف تحملت ما آلت إليه ببصيرتها والشـاعر بوصفه الخارجي للشـخصية بقوله: « وجه السـماء جفـا مـن هول دمعتهـا...»، فهو يعطي انطباعًـا للمتلقي عن مدى عظمة السـيدة زينـب عليها السلام، فهي مثـال العالم أجمع، فأحيل بنا الشـاعر الى لفظـة دمعتها بما تحمله من حزن وكبت والسـؤال هنا لماذا أورد الشـاعر لفظة دمعة؟ هذا يعكس الشعور الداخلي المصاحب للسيدة زينب عليها السلام ووقوفها أمام عظمة الحدث الدامي، وعدم الانجراف إلى الغريزة النسـائية المتمثلة بخلع الحجاب واللطم، فهي بذلك أعطت

(١) مجموعة شعرية (أضرحة الماء)، احمد الخيّال، ص٢٢٣.

درسًا للعدو عن مدى علوِّ وشموخ الهاشميين.

يأخـذُ الشـاعر بتواتر صوره الشـعرية الواصفـة لها ولأخوتها بصيغة السـارد العليم، بجمل حاوية للاستفهام الذي خرج من معناه الأصلي إلى معنى التعجب، ممّا آلت إليه شـخصية السـيدة زينب عليها السلام وفي البيت الخامس يذكر لنا الشاعر أحمد الخيّال شـخصية مجاورة لشـخصية السـيدة زينب وهي شـخصية العباس بن علي عليه السلام بقولـه: «مـا زال يا زينـب العباس ممتطيـاً...») بتوظيف مباشر لينسـج معنى البيـت، الكافل لآل بيت النبي بخطاب مباشر من الشـاعر الى السـيدة زينب بأداة النـداء المختصـة بالبعيد بما أسـند إليها بلفظة (مـازال) أيماناً من الشـاعر بالعباس عليه السلام الذي لم يتخل عن عهدته، يبث فيه الشـاعر حالة من الاطمئنان لقلب مولاتنا زينب عليها السلام، وجيء بهذا الاطمئنان من قبل الشاعر عِبْرَ ما دار في أوساط المجتمع العراقي العشـائري عند التخاصم فيما بينهم والتصالح منهم من يأتي براية العباس عليه السلام ويعقدهـا، ومنهم من يَتَّخِذُ القسـم به ككفيل فالقسـم به عظيـم، الذي وَرِثَ الشـجاعة بصورهـا منهـا الكفالة من أبيه عـلي عليه السلام بكفالته للفواطـم عندما هاجر الرسول صلى الله عليه وآله وهذا التشبيه عزَّز من قداسة العباس عليه السلام.

كـرر الشـاعر جملـة (يـا زينـب الصبر) الصـبر في المـوت والرضـا بـما آلَ إليه القـدر الذي لا مفر منه، محاولة من الشـاعر لتخفيف الصدمـة ومُرَّ الفجيعة بتقبل الحـدث[1]، بذلك يعلن الشـاعر مؤازرته لآلِ بيت النبـي وفي البيت الأخير يعرفنا الشـاعر بعزٍّ وعظمة هذه السـيدة الفاضلة ونسـبها الشريف، صورة شعرية توحي بثناء المرثية بما ترتبط إليه من نسب فهي ابنة علي بن أبي طالب وأمّها الزهراء عليها السلام.

والشـاعر أحمـد الخيّال أراد عِـبْرَ بنية نصِّه الشـعري وتوظيف شـخصية هذه السـيدة العظيمة الإشـارة إلى عدة منعطفات منها مكانة المرأة آنذاك ومشاركتها في تحمل المسـؤولية، الصبر بتحملها الشـدائد والذي حَظِي تصورًا أعلى، فبنية النص

(١) ينظر: الرثاء، شوقي ضيف، ص٨٦، دار المعارف، ط٤.

والملاذ الكافل لباقي النساء واللسان الخطيب في مجالس الأعداء والقدسية التي نالتها مدينة الشام بعلو شأن من يرقدها.

أمَّا في قصيدة (أخ الحسين) فيدركنا الشاعر أحمد الخيّال برُؤيا موضوعية أخرى التي يقول فيها:

أسرى بقلبك همةٌ ووفاء
وعلوت حتى خافت العلياء
وركبتمهرالشمسحِكتَضياءها
سرجاً توارت خلفه الظلماء
وأضأت في كون الحسين كأنما
قمرٌ تهاوت دونك الأضواء
وركبت صعباً فأستحال مطاوعاً
فأرتاب قلب الظلم والأعداء
من للحسين إذا استبد نداؤها
وتلثمت في جحرها النكباء
إلاّكَ ياقمر العشيرة تمتطي
صهوات مجدٍ مالها أبطاء
تأتيه عصفاً كالرياح يقودها
عزمٌ وقلبٌ مضرمٌ ونداءُ
فأخ الحسين مثال كل عزيمة
لم يخش حين توالت الارزاء
وسرى بأرض الطف تحت لوائه
مالم يكن من قبله أسراء
عزمٌ أطاح بمدلهم جهالة
وأغار حتى هاجت البيداء

عبــاس ما عبســت حــروب دونه
كــفٌ يقلبهــا بكيــف يشــاءُ
فــي كربــلاء لــه نــزال حقيقة
عنــد الفــرات ورايــة بيضــاء
إذ كــر في ألف يشــق صفوفهم
ويحــول بــين وجودهــم افنــاء
وتدافــع الأبطــال دون لقائــه
فكأنّــه فــرد بهــا الهيجــاء
حتــى دنا مــاء الفرات فأشــرقت
عينــاه دمعــاً واســتقاه المــاء
فتلفتــت نحــو الحســين شــهامة
والعــذب جــارٍ صافــي لألاء
فأنســاب من بين اليدين فنفســه
تأبــى وأهــل فــي الخيــام ظماءُ
فأغــار يطعــم موتهــم لحســامه
فتدافعــوا وهــم لديــه ســواء
يا من تكــرم بالفضائــل والتقى
وخطــا علــى اثــاره العلمــاء
مــن أهــل بيــت بالعبــادة زينــوا
مــا فيهــم الا فتــى بــكاء
لولاهم مــا كان ديــن المصطفى
إلاّ بمــا تهافــت الأهــواء [1].

(١) ـ مجموعة شعرية (أضرحة الماء)، احمد الخيّال، ص١٩٢.

العنـوانُ جـاء بصيغـة المعرف بالإضافـة، ارتبطت الشـخصية بشـكل مباشر بالحسـين عليه السلام، والسـؤال هنا لماذا أورده الشـاعر بهذه الصيغة؟ و لماذا لم يذكر اسم الشـخصية بشكل صريح؟ والتي مثلت هنا شخصية الإمام العباس بن علي بن ابي طالب عليهما السلام، هذه الشخصية التي كانت المرتكز الرئيسي إلى جانب الحسين في واقعة الطف الخالدة، فهو بذلك جرَّده من كل ما يتصل به من نسبٍ وخاصة من جهة أُمِّه وجعل ارتباطه بالحسـين فقط. والجواب على ذلك شـكلت لفظة (أخ) هنا مفارقة عمّا في مخيلة الإنسـان العربي من قصة إخوة يوسـف التي ذُكِرَت في القرآن الكريم، وكيـف أرادوا التخلـص منه وكيدهم لـه إلاّ أنَّ الإمام العباس سـطرَ أبرز ملامح التضحيـة والفـداء في سـبيل الدفاع عن أخيـه ومؤازرته له، وهذا ما تبناه الشـاعر أحمـد الخيّال في بنية نصِّه الشـعري بذكر الصفات الخارجيـة والداخلية للعباس بن علي عليهما السلام، فاشـتملت بنية النـص على مجموعة من الدوال اللسـانية منها (علوت، ركبت مهر الشمس، وأضات، قمر، يا قمر العشيرة، مثال كل عزيمة، تحت لوائه، ما عبسـت حروب دونه، راية بيضاء، يشـق صفوفهم) صفات تأخذ بالمتلقي بعلو شأن هذه الشخصية وقوة بأسها وشجاعتها.

فالشـخصية «هـي المكون الذي يحاول بـه القاصُّ روي اللغة على وفق شـفرة خاصة أو نسـق معين تقارب الإنسـان الواقعي الذي تتمُّ الإشارة إليه للدلالة على الفرد التي تتضافر عوامل طبيعية واقتصادية واجتماعية في تكوين جسـمه ونفسيته فهي مسـتمدة من الواقع لكنهـا مختلفة عنه فهي البديل الفني للشـخصية الواقعية التي تعكسـها ليس كشـخصية فقـط وإنَّما بالوظيفة فهي تسـاعد على قـراءة وفهم العـالم مـن خلال الخاص»[1] والعبـاس عليه السلام بهذه الصفات وبلوغـه العظمة يُوحي إلى المتلقـي بقراءة أخـرى هي عدم الاكتراث بالمظاهر الخداعـة الدنيوية، درس أو

(١) جماليات تشكيل الوصف في القصة القصيرة، نبهان حسون السعدون، ص٦٨ـ ص٦٩، ط١، ٢٠١٤.

عبرة جسدها العباس بن علي عليه السلام بحاجة إليه الفرد الإنساني إلى نفاذ البصيرة في عالم المغريات، العالم الذي تتكالب فيه الأجندات الخارجية على المسلم وحمله على الانحراف بشتى أنواعه الديني وغير الديني باسم التحرر والانفتاح بشخصيات خادعة لتكون هي القدوة بديلاً عن القدوة الحقيقية المضحية في سبيل دين الله مجسدة أروع الوقائع.

ويلحظ تكرار حرف (**الواو**) في الاشطر الأولى الذي أشار بطبيعته إلى حركة المونولوج الداخلي» طريقة أتبعها الكُتَّاب أو ما يعرف باسم تيار الوعي لاهتمامهم بالتعبير عن كل ما هو شخصي وفردي فهو يلقي بالأضواء على الحياة الداخلية للأشخاص فالشخصية تنتقل من مركز استقبال الحدث إلى مركز صنعه، بما تتيحه للمتلقي من إدراك الامتزاج الفني بين الحدث والشخصية على اعتبار كل واحد منهما هو الآخر»)[1]. والوصف بهذه التصويرية تمكن الكاتب من المطابقة بين الكلمات والعالم، اي التمثيل بواسطة اللغة، فهو قادر على أن يرينا العالم كما هو، فيعمل القارئ على الاعتقاد في أمانة وصف الواقع القائمة على مصداقية الوصف)[2]. فضلاً عن ذلك اشتملت بنية النص على جملة من الدوال التعريفية (يا قمر العشيرة، أخ الحسين، عباس، يامن تكرم بالفضائل، من أهل بيت بالعبادة، لولاهم ما كان دين المصطفى) دوال استثنائية تميزه بها أهل البيت عليهم السلام ومنهم العباس عليه السلام كأنَّما أراد الشاعر إثبات هوية العباس بهذه الدلالات «فالهوية عبارة عن مركب من العناصر المرجعية المادية والاجتماعية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي» [3]

(١) ينظر: بناء الشخصية في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، آسيا لعواجي ـ صفيه بو طريق، ص٥٥ـ ص٥٦، ٢٠٢٠م.

(٢) ينظر: الوصف في النص السردي بين النظرية والاجراء، محمد نجيب العمامي، ص١٨٨، ط١، ٢٠١٠.

(٣) ـ الثقافة العربية في عصر العولمة، تركي الحمد، ص٢٣، ط٤، ٢٠١٢.

فالهوية سلوك إنساني قبل أن تكون خيالاً ذهنيًا، ما يساعد على تذوق هذا السلوك الإنساني الخيال الوجداني الذي يعكس جوانب الاحساس بالجمال بما تكونه الصورة الشعرية «فالصورة هي الوجه الأوضح للوصف من خلالها يرسم الشاعر المعنى الذي في ذهنه بصورة رآها في بصره لذا يرى بأنَّ هذا الوصف هو وصف نقلي تظهر براعة الشاعر في اكتشافها، والصورة الشعرية تخطف في حدس الشاعر خلال لحظة تنير معالم نفسيته جميعها»[١].

وترتبط الشخصية بالمكان بما تجسده من أحداث تتخذ فيه المحور الأساسي فالشاعر في قصيدته (**شمس الحسين**) التي يقول فيها:

أو بعد شمسك تستطيل الشموسُ
أو بعد نورك يشعل الفانوسُ
طقس وجودك في الزمان مقدسٌ
أو كيف بعدك تستقيم طقوسُ
إذ أنت تختصر الزمان مسافة
ما راعه من كافر تدليسُ
ودِماك تختصر المكان بكربلاء
فتطهرت ما راعها إبليسُ
قامت إليك من المدائن حشرا
لتطوف ولها تستقيك النفوسُ[٢].

يلحظ في البيتين الأول والثاني أوردهما الشاعر بأسلوب استفهامي خرج من معناه الأصلي إلى معنى التعجب من الحدث الدامي المأساوي الذي لا نضير له على

(١) ـ صورة الأخ في الشعر الجاهلي، ص١٢٢.
(٢) مجموعة شعرية (أضرحة الماء)، احمد الخيّال، ص٢٠٢.

مـرَّ التاريخ التي تخلدت ذكـراه بواقعة الطف والخروج بأهـل بيته وأصحابه لنصرة الدين وإعلاء كلمة الله في صورة درامية جسـدت أسـمى البطولات، حالة انفرادية تفـرد بها الحسـين عليه السلام بتضحيته من أجل الدفاع عـن دين جده محمد صلى الله عليه وآله وفي البيت الثالث وردت لفظة (كافر) دليل أورده الشاعر لمن حارب الحسين عليه السلام مادياً ومعنوياً « فالموالاة للأئمة المعصومين ومنهم الحسين من موجبات الإيمان فلا إيمان لمن لا طاعة له لمعصوم[1]. وبقوله (دماك تختصر المكان بكربلاء (صورة شعرية جسدت استشهاد الإمام دون الغوص في ذكر التفاصيل ليبين مدى حجم الفاجعة التي ارتكبت،بعدها يعلن ولائه وتضامنه مع الحسين بصوت الجماعة (قامت إليك من المدائن حشرًا) فهو لم يحدد مدينة دون أخرى ومنه يلحظ مدى تأثير الثورة الحسينية وإقبال الناس الموالين بما عهده من لفظة (حشراً) ارتبطت بالهيئة التي يأتي فيها الناس يوم القيامة، متخذين من الحسين الشفيع لهم، ثم يعهد إلى لفظة ملازمة للمكان المقدس)الطوفان) إشارة أخرى إلى قدسية المكان وحرمته فقدسيته من قدسية بيت الله فهو ولي الله في أرضه « فالعصمة التنزه عن الذنوب والمعاصي صغائرها وكبائرها عن الخطأ والنسـيان وأن يكون منزهاً عما ينافي المروء» [2].

أمّا في قصيدة (**سيجيئ يومك**) فيقول فيها:

أقـدم فإنّـك للقلـوبِ أميرهـا
شـمسٌ تنيـرُ دروبهـا وتنيرُهـا
وطـنٌ محاصـرُ بالغيـابِ فما لنا
الاّهُ فـي الزمـن الـرديء مجيرُها

(١) المرجعيات الثقافية للشعر الشيعي في العصر العباسي، حسين نعمه العلياوي ص٩٧، جامعة كربلاء، ٢٠٢٢م.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٩.

وأليه تسعى في الدعاء قلوبنا
والروح من عطرِ الصفاء يعيرُها
تاللّه انّك في الفؤاد مضرّجٌ
بدم التصبر ما يمل صبورُها
أفق انتظارك لا يضيق به المدى
فالباب ينتظر القدومَ صريرُها
يا صوت حيدر في الزمان مخلدٌ
هذي الإمامة ما يزال أميرُها
ويجي يومك في الزمان فما نرى
الاكَ يحيى ما أمات فجورُها [1]

يحيل العنوان الباحث إلى المنتظر المنقذ بجملة استشرافية غير محدودة يوم غير معلوم، خطاب موجه للآخر بدلالة اللازمة الاشارية الضمير المتصل (الكاف)، فاشتملت بنية النص على مجموعة من الجمل الدلالية (للقلوب أميرها، شمس تنير، مجيرها، في الفؤاد مضرجٌ، يا صوت حيدر) دوالٌ لسانية توحي الى علوِّ ومنزلة الإمام المنتظر، بما جاء به الشاعر أحمد الخيّال في بناء لغته الشعرية ما بين الجمل الفعلية والأخرى اسمية تأكيدًا على اثبات حقائق الانتظار، ومن جانب آخر فهو بهذا التصوير لإحداث واقعية يشير إلى مدى التعسف الواقعي والابتعاد عن الإنسانية فهو يناجي المخلص بأُسلوب حواري، وأشار في بداية نصّه الشعري إلى جملة (للقلوب أميرها) فقد أسند الأمر للقلوب دلالة على العقيدة الراسخة بأحقية هذا الإمام المعصوم، وهو بهذا التصوير محاولة منه الهروب من تقلبات وأحداث الواقع باحثاً عن زمان آخر شكله بيديه بهذه المناجاة للقائد الفذ والإمام المخلص

(١) مجموعة شعرية (أضرحة الماء)، احمد الخيّال،ص١٨٥.

فهو يرصد الظواهر والأحداث اليومية ويفضح سلبياتها مؤمناً بالتعبير كلسان يمثل حال مجتمعه بقدر ما يجري في واقعه، فالانتظار» ظاهرة اكتسبت أهميتها منذ العصر الجاهلي فأبسط صورها انتظار أمرًا ما متمني الحدوث في المستقبل القريب أو البعيد قد يحدث أو لا حسب الظروف المحيطة وحسب ما يستجد من أحداث في هذا المستقبل، فهو سمة مشتركة بين جميع البشر تتفاوت بتفاوت درجة إيمان كل مجتمع بشري حسب المكونات الفكرية لعقل ووجدان أفراد هذا المجتمع تكسب درجتها من الخصوصية من مجتمع إلى آخر شكلاً ومضموناً» [1].

وممّا تقدم من ذكر للشخصيات، فالشاعر أحمد الخيّال ما جاء به من شخصيات هي دينية لها عمقها وفكرها وحضورها في المجتمع العراقي خاصة، وقد أشتملت مجموعاته الشعرية على العديد من القصائد بشخصياتها الدينية، بما تثري المخيلة الإنسانية من موضوعات ترتبط بالفرد الإنساني ومدى الاستفادة من العِبَرِ والمَوَاعِظِ التي جسدتها تلك الشخصيات، وبيان صورة ما تعرض إليه أهل البيت من مصائب وفواجع أيضاً، وهم سادة بني هاشم وسلالة النبي الاكرم.

الشخصية الاجتماعية:

تَجْدِرُ الإشارة إلى أول من أهتم بالطابع الاجتماعي للشخصية هو فروم، مؤكدًا على العلاقة بين الشخصية والمجتمع في مختلف الظروف، وأنَّ السمة المشتركة بين الأفراد تكمن في خصائصهم النفسية على الرغم من اختلافها، فما يقصد بالشخصية النواة النفسية للفرد التي تشكل سلوكه وانفعالاته وأنماط تفكيره بإدراكه العالم الخارجي، فتفكير الفرد له جذوره في شخصيته وحياته العملية هي من تشكل شخصيته، وأنَّ وظيفة الشخصية الاجتماعية توجيه

(١) ظاهرة الانتظار والترقب في شعر امرؤ القيس، فريد عبد الظاهر سعيد ص١٠١، مجلة كلية الآداب،عدد٣٣، ٢٠١٢، جامعة سوهاج.

الطاقة الإنسانية داخل المجتمع تستهدف استمرار وظيفة المجتمع فهي شكل نوعي تتشكل فيه الطاقة البشرية بالتكيف للحاجات الإنسانية من أجل نظام اجتماعي معين[1].

والشاعر أحمد الخيّال تناول قضايا منها، لأفراد تتعلق بالمجتمع محاكيًا أحداث سواء كانت أحداث بين أفراد المجتمع الواحد أو شخصيات ثائرة دفاعاً عن الوطن ففي قصيدته (**اليتيم**) التي يقول فيها:

مخضبةٌ ذكراه بالدمعِ تشربُه
وحائرةٌ عيناهُ والليلُ يحطبُه
توسد لحناً من غيابات دفئهِ
وليلاً كثيرَ الحزنِ مازالَ يكتبُه
تحاكمهُ الايامُ والحلمُ كنزهِ
وحيداً غنياً والورود ترطبه
سقته يدُ الأيامِ يتماً مسافراً
ودفئاً غريباً والمواجع تطلبه
أبوه الذي قد كانَ خمرة روحهِ
تشجّر في الأحلامِ فأنسابَ أعذبه
وأعطى لهذه الأرض معنى بقائها
فلم تعطِهِ الا الذي كان يغضبه
فأيتامنا نبضٌ يدقُ قلوبنا
ونهرٌ من الرحماتِ ما غار مشربه[2]

(١) ينظر: أساليب دراسة الشخصية التكنيكات الاسقاطية، فيصل عباس، ص٣٨ـ ص٣٩، ط١، ١٩٩٠، دار الفكر اللبناني.
*ـ على جنح الرؤى، صلاة الماء والقمح، حرم القداسة، سلطان آل محمد...
(٢) مجموعة شعرية (صلاة الماء والقمح)، احمد الخيّال، ص٩١.

أفـردَ الشـاعرُ اهتمامـه بموضوع اليتيم فعمـل على وصف الأحـداث بصورة درامية مُتخذًا من العاطفة المرتكز لتوالي الأحداث، فالعاطفة لفظة لم تكن معروفة آنذاك عند النقاد العرب القدامى فكان جلُّ اهتمامهم بالأثر الناشئ عنها، عكسهم المعاصرين الذين ارتبطت العاطفة عندهم بالانفعالات الوجدانية ومدى استجابة المتلقي للنص المطروح [1]. والشـاعر أحمد الخيّـال فضلاً عن تركيزه الحمل الفعلية وتكرار صيغ بعينها فأرتبط بأحداث بنية النص مستحضراً طريقة الندب والعويل في حين قلل تسليط الضوء على الصفات الخارجية الجسمانية رغبة عهد إليها الشاعر في وصـف حالة اليتيم وشـعوره الداخلي أي أنَّه سَـلَّط الضوء عـلى جوانب فكرية نفسـية، وأخذ الشـاعرُ دور الـراوي للأحداث وعلى الرغم مـن أنَّ محور القصيدة دار حـول شـخصية اليتيـم إلا أنّـه أحاط بـما له علاقة بـه (**أبوه**) الملجـأ الذي كان يأويه والذي قدم نفسـه في سـبيل هذا الوطن، فالشاعر لخَّص مأساته في الشكوى، شـكوى غير مسـموعة، حالة من التفـرد والاغتراب التي يعيشـها الفرد في مجتمع بشري لا يأبه بأمثاله، فالشـاعر وظّف معجمه من معاناته النفسـية والألم الداخلي، محاولاً في أبياته رسـم الملامح الداخلية لليتيم وتجسـيدها بصـور بصرية للمتلقي، ومـن البيت الأول نلحـظ أنَّ عنصر الصراع هو المرتكز في سـير الأحداث صراعًا بين اليتم والواقع الخارجي ونفسـية الفرد (مخضبة ذكراه، حائرة عيناه، توسد لحناً، تحاكمـه الأيّـام، وحيـداً، يتماً مسـافراً، خمرة روحهِ، تشـجر في الأحـلام) دلالات لفظية شـخصت المعاناة ورسم الصورة الداخلية لليتم. والغالب في بنية النص هو الضمـير المتكلم المقترن بالفعل المضـارع الذي يبرز واقعية الأحـداث التي يرويها الشاعر فهو لا ينقل شكوى بقدر ما يسوّق حدثاً مباشراً ولذلك كثر لديه توظيف

(١) ـ ينظر: أسلمة الأدب والفن ـ مقاربة منهجية في منجز محمود البستاني، سامر عبد الكاظم الجوذري، ص٦٣ـ ص٦٤-، ط١، ٢٠١٥.

الجملة الفعلية، والضمير (نا) في لفظة أيتامنا مثلت إشارة شخصية استدعائية وظفها الشاعر لنداء أبناء وطنه للتركيز على هذه الفئة، والمشاهد التي رسمها الشاعر أقرب ما تكون أكثر وعيًا لا ترتكز على وصفها لإحداث فقط، وإنّما التأمل عمادها فهو يصور كلّ جزء بنظرة تفصيلية، والشاعر بذلك أبرز ظاهرة مأساوية بالضغط على زر العاطفة التي تتطلب من المجتمع الاهتمام بهذه الفئة، فالشاعر يمثل رسالة تحاكي الواقع الراهن واليتم بهذه الصورة التي عمد الى خلقها الشاعر أحمد الخيّال مثلت اتجاهين الأول: الصبر كمثال لكل شخص أتعبه الواقع ليبعث فيه الحياة وكيف يتصدى للعقبات فهو قطيع الملّهم، والآخر: خلق ما يوقظ ضمير القارئ أو المتلقي بمؤثرات عاطفية تنشط ذهنه.

وفي قصيدة (**الحسينيون**) يصور الشيعة وإقرارهم بالولاء التي يقول فيها:

من دمعة الآس لا كالناس هم ولدوا
لا يهنؤون بشمر الماء مذ وجدوا
تناسلوا من حكايا الحزن أغنية
يرمّمون صلاة الوصل لو سجدوا
معبّؤون بغيم الحب ما انسكبوا
ومبعدون عن المعنى وما بعدوا[1]

جاء العنوان بصيغة المعرف ليحيل إلى مدى الارتباط الروحي والعاطفي بين هذه الفئة الموالية لأهل البيت والحسين عليه السلام، فقامت بنية النص على أسلوب سردي عاطفي بإشارات محددة تترك مساحة للمتلقي في أشغالها، فمن البيت الأول أحال الشاعر إلى لفظة الدمع المعبرة عن كمية الحزن والندب في رثاء أهل البيت، فهو بهذا الوصف السردي أحال إلى تفردهم ووحدتهم وارتباطهم روحياً بالفكر الحسيني، إنّما

(١) ـ مجموعة شعرية (صلاة الماء والقمح)، احمد الخيّال، ص١٢٨.

يدل على هدايتهم للقضية الحسينية بما يوحيه النص في البيتين الأول والثاني، فالشاعر بما أورده من لفظتي (**الدمع ـ الماء**) دلالات لسانية توحي الى تخليد ذكرى الحسين عليه السلام عبر ما يشاع في ذاكرة الفرد الإنساني العراقي وخاصة الشيعة فهو مع شرب الماء يتذكر الحسين عليه السلام وواقعة الطف، وبهذا الذكر تتجدد تضحية سيد الشهداء عليه السلام، وبهذا الاندماج بين الحسين ع والماء ظل الحسين خالداً في قلوب مواليه الذي أثمر رمزاً وعبرة لكل الأجيال، وفي شهر محرم يخلد الناس تلك الذكرى بالعزاء عليه في كل عام، وما يجسده الشيعة في هذا العزاء أثمر عن التأثير في غير الشيعة للوقوف أمام تلك الفاجعة، وهو بهذا التصوير صوَّر شخصياته فكريًا متجاوزاً ملامحهم الظاهرية، فما يريد الشاعر إيصاله وهو يمثل رسالة هو توضيح صورة الشيعة فهم مَنْ أطاع الله ورسوله وأولياه، فلا يريد تصدير الحسين عليه السلام تصديرا بعيد عن طاعة الله فهو أمام المتقين ووجيهاً عند الله، فبهذا يحاكي الواقع الراهن ويقدم للآخرين نموذج التشيع والانتماء الحسيني وهذا ما أكَّده في البيت الأخير، فهم يتخذون من الحسين وسيلة لتقرب إلى الله وطاعته، وبهذا التنوع في المعلومات حول الشخصيات عد السارد وسيطاً بين الشخصية والقارئ[1].

والشاعر لم يكتف بذلك القدر من التصوير وإنَّما تعدَّاه إلى طبيعة أحداث وشخصيات ثائرة، فهي ليست ظواهر كونية عابرة، وإنَّما لها دلالتها وشموليتها فدلالة النصر تتجدد حتى بعد انتهائها الواقعي، صالحة التكرار في مواقف أخرى وهذه الدلالة الكلية للشخصية الثائرة يستغلها الشاعر المعاصر في التعبير عن جوانب تجربته بما يمنحها جلال العراقة[2]، فالشاعر أحمد الخيّال يصور ثورة

(١) ـ ينظر: تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، محمد بو عزة، ط١، ٢٠١٠.

(٢) ـ ينظر: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، ص١٢٠، ١٩٩٧، دار الفكر العربي.

الحشـد الشعبي المنتصرة التي تحققت على أيدي أبناء الوطن في قصيدته (أنَّ القَرَى بالحشدِ تنتصر) التي يقول فيها:

سـمرٌ وغيـمُ وجوههـمْ مطـرُ
وقلوبهـم أحلامُهـا شـجرُ
غرسـوا بليـلِ الحائريـنَ هـوىً
والنـايُ فـي اوجاعهـم سـفرُ
أيمانهـم ماشـكَّ فـي قمـرٍ
كالعيـدِ لـم يخطـئْ بـه النظرُ
خاطـوا الملامـحَ بالنّـدى وطنـاً
لـم يسـرفوا...والريحُ تنتظـرُ
حشـدٌ مـن الآيـات لـو قـرأتْ
زلزالهـا يُفنـي ولا يـذرُ
فالموصـلُ الحدبـاءُ نبتتهـمْ
وذنوبهـا بالبـأسِ تغتفـرُ
فصباحهـا مـوجٌ وأسـئلةٌ
مـا قمـحُ ضحكتها سـيختصرُ
هـم زندُهـا حشـدٌ ملامحهـمْ
قصـبٌ مـن الأرضِ التـي عقرُوا
جـاؤوا رسـالاتٍ ومعجـزةٍ
إنّ القـرى بالحشـدِ تنتصـرُ [1].

جـاءت عتبـة النص العنـوان بإعلان صريـح من قبل الشـاعر مؤكـدًا أحقية الانتصـار، فالشـاعر ركز على فكرة معينة تجسـدت في شـخصية الحشـد في نصرته

(١) مجموعة شعرية (صلاة الماء والقمح) احمد الخيّال، ص٩٧.

وتلبيته للنداء والجهاد في سبيل الدفاع عن الوطن، ومن البيت الأول عهد الشاعر إلى وصف هذه القوات بما أُوْحِي لها من لون السمرة المرتبطة بالهيئة الخارجية لشكل الفرد فضلاً عن سمة (الغيرة) التي بدأت على ملامح وجوههم فهم أهل غيرة تأخذهم روح النضال في سبيل الدفاع عن أرضهم ومعتقداتهم، وجوه تعهد إلى السلام، وبذلك عُدَّ اللون تعبيراً إيحائيًا وأشاريًا بقدرته التعبيرية فهو أكثر إيحاءً وأبعد غوراً وأغنى معنى ليجعلها دلالة ينتسب بها أبناء الجنوب[١].

واشتملت بنية النص على مجموعة من الالفاظ (قمر، آيات، رسالات، معجزة) دوالٌ لسانية توحي إلى التقديس بجعل المتلقي يدرك سمو ورفعة هذه الشخصية، وفي الوقت ذاته يبين حقيقة الطرف المقابل (العدو) وجرأته على انتهاك الحرمات، وحاول الشاعر أحمد الخيّال إشراك ألفاظ الطبيعة (مطر، شجر، ندى، ريح، زلزال، موج، قمح، قصب) فهو يستعير هذه الألفاظ لإحياء ما اندثر على أيدي الطغاة، وبذلك يقدم للمتلقي عمق الإحساس بمدى بشاعة الفاجعة التي تعرضت لها هذه القرى. وبقوله (هم زندها...) بهذه اللقطة القريبة من الشخصية يشير إلى قوة بأسهم وشجاعتهم ليكمل مشهدية الصورة في البيت الأخير بالفعل جاؤوا، ويمكن عَدّ الشاعر جزءًا من المشهد الشعري بما يحتفظ به كراصد للأحداث و مكرراً الجملة الشعرية عتبة النص في نهاية القصيدة للتأكيد وتنبيه المتلقي بأنَّ هذا الانتصار تحقق بأيدي هذه القوات، « فتكرار العبارة يكسب النص طاقة إيقاعية، وأُخرى إيحائية تُضيء للقارئ الدرب وتكشف سر المعاني التي ارادها الشاعر» [٢].

ولم تقتصر القصائد الثورية إلى هذا القدر فقد صورها الشاعر أحمد الخيّال في العديد من دواوينه الشعرية ويلحظ أنَّ الشخصية الاجتماعية في شعر أحمد

(١) ينظر: شعر احمد الخيّال دراسة أسلوبية، زمان شناوة، ص١٥٥، ١٥٦.

(٢) التكرار في الدراسات النقدية بين الأصالة والمعاصرة، فيصل حسان، ص١٣١.

الخيّـال اسـتندت على عـدة مواضيع منها العاطفـة في جذب المتلقـي، والعقيدة في بيـان الولاء لأهل البيت والظواهر الكونية المتمثلة بالثورات والأحداث الداخلية فبذلك الشخصية الاجتماعية لا تقتصر عن كونها جنس أدبي فقط وإنّما مثلت لسان الشاعر في مدى الإحساس بوطنه في القضايا التي تمس مجتمعه.

الخاتمة:

١. قصيدة الشـخصية هي تقنية جديدة في الشـعر العربي ترتسـم ملامحها في ذهن الشـاعر فتتشـكل حدودها داخل بنيـة النص بما يُحَـدِّدُه النصُّ من صفات خارجية وداخلية تخص الشخصية.

٢. تنوعت الشـخصيات في هذا الشكل الشعري ما بين الدينية المختصة بالرسول وأهل البيت والاجتماعية التي تناولت كل ما يختص بالمجتمع.

٣. اتَّسـمت لغة الشـاعر أحمد الخيَّال بالوضوح والسـهولة باقترابه من الفطرة بما توحي للمتلقي الادراك والفهم.

٤. إنَّ الشـخصية الاجتماعيـة لا تقتـصر عـلى جنس أدبي فقـط، إنَّما مثلت لسـان الشاعر في مدى الإحساس بوطنه في القضايا التي تمسُّ مجتمعه.

٥. أشـار الى عـدة محـاور منهـا دور المـرأة في المجتمـع – مبـدأ الاخـوة – ظاهرة الانتظار – قضية اليتم التي لم تلاقِ تلك المسـاحة في شـعر الشعراء مُتَّخِذًا من العاطفة المرتكز الأساسي.

٦. اتَّخذ من نفسـه المصلح الـذي تقع على عاتقه مهمة اصـلاح المجتمع بعيدا عن العصبية والتوتر وانما بلسان حاله الذي يمثل حالة مجتمعه.

المصادر والمراجع:

* أساليب دراسة الشخصية التكنيكات الإسقاطية، فيصل عباس، ط١، ١٩٩٠، دار الفكر اللبناني.
* استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، ١٩٩٧، دار الفكر العربي.
* أسلمة الأدب والفن ـ مقاربة منهجية في منجز محمود البستاني، سامر عبد الكاظم الجوذري، ط١، ٢٠١٥.
* الإبداع في الفن والعلم، حسين أحمد عيسى، ١٩٧٨.
* الأبعاد الأساسية للشخصية، أحمد عبد الخالق، ١٩٩٢.
* التشكيل الشعري الصنعة والرؤيا، محمد صابر عبيد، ٢٠١١، دار نينوى.
* التكرار في الدراسات النقدية بين الأصالة والمعاصرة، فيصل حسان، ص١٣١.
* الثقافة العربية في عصر العولمة، تركي الحمد، ط٤، ٢٠١٢.
* الخصائص الفاطمية، الشيخ محمد باقر الكجوري، تر: سيد علي جمال أشرف، ج١، ط١.
* الرثاء في الشعر العربي، سراج الدين محمد، بيروت ـ لبنان.
* الرثاء، شوقي ضيف، ط٤، دار المعارف.
* المرجعيات الثقافية للشعر الشيعي في العصر العباسي، حسين نعمه العلياوي، جامعة كربلاء، ٢٠٢٢م.
* النزعة الدرامية في الشعر العربي المعاصر، احمد كريم بلال، ط١، ٢٠١٤، دار النابغة.
* الهوية، أليكس ميكشللي، ترجمة علي وطفة، دار الوسيم دمشق، ١٩٩٣.
* الوصف في النص السردي بين النظرية والاجراء، محمد نجيب العمامي، ط١، ٢٠١٠.

* بحار الأنوار، الشيخ محمد باقر المجلسي، ج٤٣، مؤسسة الوفاء، بيروت
* بنـاء الشـخصية في القصة القصيرة الجزائرية المعاصرة، آسـيا لعواجي ـ صفيه بو طريق، ٢٠٢٠م.
* بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، حميد لحمداني، ط١، ١٩٩١.
* تحليـل النـص الـسردي تقنيات ومفاهيـم، محمد بو عـزة، ص٣٩، ط١، ٢٠١٠، الدار العربية.
* توظيـف الشـخصية في القصيـدة الجديدة، بيـداء عبد الصاحـب الطائي، جامعة بغداد مجلة البحوث التربوية والنفسية، العدد ٥٠، ٢٠١٦.
* جماليـات تشـكيل الوصـف في القصـة القصيرة، نبهان حسـون السـعدون ط١، ٢٠١٤.
* جورج لوكاتش دراسات في الواقعية، وأيضا: (شخصية البطل بين نجيب محفوظ وديستوفسكي) دراسة مقارنة، ندى السيد احمد علام، كلية الآداب،٢٠١٨.
* شعر احمد الخيّال دراسة أسلوبية، زمان شناوة، كلية التربية جامعة كربلاء.
* صورة الأخ في الشـعر الجاهلي، عادل حماد القاسـمي، رسـالة ماجسـتير، جامعة مؤته، ٢٠٠٨.
* ظاهرة الانتظار والترقب في شـعر امرؤ القيس، فريد عبد الظاهر سـعيد، مجلة كلية الآداب، عدد٣٣، ٢٠١٢، جامعة سوهاج.
* قصيدة الشخصية السرابية في الشعر الجاهلي، أسامة جبار شدهان، جامعة واسط، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية العدد ٤١، الجزء الرابع،٢٠٢٠.
* قصيدة الشـخصية في ديوان (زهرة البرتقال)، سـعدي علي المرشـدي، مجلة جامعة بابل، كلية الآداب، مجلد ٢٤، العدد٤، ٢٠١٦.
* معجـم المصطلحات الأدبية، إبراهيم فتحي، لمؤسسـة العربيـة للناشرين المبتدئين، د.ط، ١٩٨٦م.